المحور الثالث: الترجمة الأدبية وخصائصها

المبحث الأول: مفهوم النص الأدبي ومميزاته

تمهيد :

الأدب « ما عبّر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل ... أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارئ التجارب والانفعالات النفسية التي يشعُر بها المتكلّم أو المنتج [...] فهو علم يضُم أصول فن الكتابة النثرية والشعرية المتأثرة بالعاطفة، والمؤثرة في العاطفة. وغدا مرآة لنفس الأديب يعكس من خلالها حقائق ومتطلبات نابعة من أعماق المجتمع يحتاج إليها الشعب، صادرة عن أحد ينابيع الفكر التي يرعفُ بها قلم مُعبّر مُتميّز يهدف إلى صقل البشرية بتوضيح صورة خيالية فيها واقع، وفيها عناصر فنيّة تُميّزه عن الإنسان العادي وإن كانت في الأصل هدفه ومنبعه... فالأدب فكرة وأسلوب، مضمون وشكل... وهو فكرة من واقع المجتمع أو من أحلامه، وهو أسلوب فيه براعة، وجاذبية ورشاقة وموسيقى، يتكون من ذلك كله أدب أمة وأدب شعب.» (محمد التونجي، 1994، ص 47) .

والأدب أنواع يمكن تصنيفها بعدّة طرق مختلفة، حيث يُمكن أن ننسبه إلى ثقافة معينة مثل الأدب العربيّ أو الأدب الفرنسيّ أو الأدب الإنجليزيّ. ويمكن أن نصنّفه ضمن حقبة زمنية معيّنة على غرار أدب القرن العشرين. وقد نصنّفه تبعاً لموضوعه مثل أدب المقاومة أو أدب الرحلات وغيرها. كما يمكن تصنيفه إلى أنواع تبعا لشكل الأعمال الأدبية، ونجد من أهمها: الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والشعر والمقالة والسيرة الذاتيّة ... إلخ. و يُعرف الأدب أنه «نتاج فكريّ يشكّل الرصيد الفكريّ واللغوي لأمّة من الأمم وهو انعكاس لثقافتها ومجتمعها يقدمها أديب هذه الأمة مُعبّرا بها عن طموحها وأحلامها وآمالها». (المرجع نفسه، ص48)، كما يعد من أهم الفنون ومن أوسعها انتشارا ومن أكثرها ارتباطا بالإنسان والحياة.

فما مفهوم النص الأدبي وماهي خصائصه؟ وما هي خصائص ترجمته بأبعادها وإشكالاتها؟

1- مفهوم النص الأدبي

النص اصطلاحا « عبارة عن نسيج من الجمل المتضامنة والمتضافرة والمتجادلة والمتراكبة والمتتابعة لا يُمكن فهمه إلا بتتبع ملفوظاته واستقصائه جملة جملة بغية إدراك المعنى والغاية والمنتهى والفائدة المرجوة. أما النص (**Texte**) في الثقافة الغربية، فيعني نسيجا لفظيا أو مكتوبا في شكل جمل

وفقرات ومتواليات مترابطة ومتراصّة ومتسقة ومنسجمة (...) خاضع لمجموعة من القواعد النحوية والصوتية والصرفية والمعجمية » (جميل حمداوي، 2015، ص 6) وهو «أحد أهم مظاهر التوصيل اللساني لكونه يختزن الأفكار والتراكيب والوظائف. وعدا أنه مُعد لأغراض توصيلية، فهو أيضا موجه لفئات مختلفة من القرّاء » (إ. بيوض، 2003، ص 32).

والنصّ الأدبي « كلام متعدّد المستويات متعدّد الخصائص الفنّيّة يؤدّي فضلا عن وظيفته المعرفيّة والتبليغية، وظيفة نفسيّة تتمثّل في التأثير في المتلقّي من خلال تحريك انفعالاته وزيادة عنصر التشويق لديه عبر الصور الفنية التي تضفي على النصّ شعرية وتمنحه القدرة على التأثير. وتعدُّ الصور مظهرا من مظاهر الفنّ والجمال في النصّ، ومؤشّرا قويّا على العبقريّة والإبداع. فقد ربط أرسطو بين الشعر والرسم، وذكر أن الرّسام يستعمل الريشة والألوان، في حين يستعمل الشاعر المفردات ويصوغها في قالب فنّي مؤثّر يترك أثره في المتلقي... وممّا لاشكّ فيه أنّ الصورة تكشف عن رؤية الشاعر للأشياء والأشخاص أكثر مما يكشف عنها الكلام الصريح أو التعبير المباشر الذي لا يستطيع أن يتناغم مع المشاعر الإنسانيّة أو يتحاور مع الوجدان لأنه عقيم فنّيا. ولا يمكن للكلام أن يرقى إلى مصف الفن ما لم يتوفّر على قوّة الخلق أو عنصر الإبداع الذي يخلق المتعة والجمال الفنّيين». (عقيل جاسم دهش، 2012، ص 1)

سعت الدراسات النقدية منذ القديم إلى تحديد الهوية الجمالية للنص الأدبي والمبادئ الجمالية التي يعتمدها الكاتب أو الأديب في خطابه تجعل منه نصا متميّزا عن الخطاب غير الأدبي أو ما يُعرف في النقد الأدبي الحديث بشعرية الخطاب **Poétique Du Discours** أو **Littéralité du Discours**، حيث يعود الفضل في تحديد هذا المفهوم إلى الشكلانيين الروس في بداية القرن العشرين. يقول سعيد يقطين: « فكما حدّدت البويطيقا الجديدة عند الشكلانيين الروس مفهوم الأدبية، فالبويطيقا المتجدّدة ضبطت هذا المفهوم الذي أصبح الخطاب الأدبي وليس الأدب بوجه عام». (سعيد يقطين 1989، ص 15) وكلها دراسات انصبّت حول الظاهرة الأدبية التي تُؤسس أدبية الأدب بمعنى ما يجعل من عمل مُعيّن عملا أدبيا، حيث يرى رومان ياكبسن « أن الخطاب الأدبي هو خطاب لغوي تواصلي تُهيمن فيه الوظيفة الشعرية دون أن تغيب فيه الوظيفة التوصيلية». (رومان ياكبسن، 1988، ص 51) وقد يبدو مفهوم الشعرية مقتصرا على الشعر دون سواه إلا أنه مفهوم يُميّز كل الخطابات الأدبية على اختلاف أجناسها من نثر وشعر . كما و« تشمل النصوص الأدبية عدة وظائف أهمها الوظيفة التعبيرية والوظيفة الجمالية لأنها أحد أسس الكتابة الأدبية، وأحيانا تكون لها وظيفة تبليغية» (إ. بيوض، المرجع السابق، ص 34).

ويُعتبر الانزياح **L'écart** أو الخروج عن مألوف القول أمرا أساسيا في تحقيق جمالية **esthétique** النص الأدبي، حيث تُحدّد أدبية الخطاب بمقدار انزياحه عن المألوف من القول وذلك في تركيبته البنيوية أو الدلالية، لأن المألوف من الكلام لا يُحدث أي أثر في نفس المتلقي، ولهذا نجد الأديب « لا يُدمّر اللغة العادية إلا لكي يعيد بناءها على مستوى أعلى.» (صلاح فضل، ص52) ومنه، يتضح أن ميزة النص الأدبي (الإبداعي) تكمن في انزياحها عن المألوف التي تُؤسّس لنظرية الانزياح القائمة على ثنائية المعيار **Norme** والانزياح **L'écart** وكذا ثنائية الدلالة التصريحية **La Dénotation** و الدلالة الحافة (أو الإيحاء) **La Connotation**، فالدلالة التصريحية تُحيل إلى المعنى المرجعي **référentiel** أو الصورة الذهنية لعين الشيء، في حين تُحيلنا الدلالة الحافة إلى فكرة الأسلوب **Le Style** أو بتعبير آخر إلى فكرة "هوية المعنى" والتي من خلالها نتعرف على القيم الأسلوبية **Les valeurs stylistiques**، فالدلالة الحافة هي التي تطبع الأثر الذي تتركه فينا الكلمات.

2. مميزات النص الأدبي

للنص الأدبي سمات أدبية وجمالية تُميّزه عن باقي النصوص، نّدرجها مُلخصةً وفقا للخصائص التي ذكرها جمال محمد جابر في كتابه "منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق" (2005)، وتأتي كما يلي:

أ- سيطرة الوظيفة التعبيرية : وهي وظيفة تتكفل بالتعبير عن أفكار المبدع و وصف عواطفه التي تعكس كل ما بصدره من مشاعر وأحاسيس تلون ألفاظه وعباراته، واستخدام اللغة وفقا لقدراته التعبيرية لنقل موقفه و الإقناع به.

ب- القدرة الإيحائية : وذلك عبر الدلالات الهامشية لغرض تحقيق المتعة الفنية في النص الأدبي، والتأثير في المخاطبين.

ج- أهمية الشكل :

الشكل هو وسيلة لإحداث البعد الجمالي، ويُقصد به استعمال المؤلف للغة استخداما خاصا للتعبير وإبراز رسالة الأثر الأدبي بالهيئة التي قصد المؤلف أن تكون عليها بغية إثارة العواطف والانفعالات فضلا عن وظيفة إبلاغ الحقائق.

د- تعدد المعاني والقابلية لتعددية التأويل :

تتعدّد تأويلات النص بتعدّد قرّائه لوجود التأويل المجازي، وهو أحد مظاهر التباين بين النص الأدبي وغيره من النصوص.

هـ- تجاوز النص حدود الزمان والمكان :

أي أن قيمة النص الأدبي بوصفه أثرا أدبيا لا تتأثر كثيرا بتغيُر الزمان والمكان وهو كذلك مرآة لهما.

و- نقل القيم الإنسانيـة :

تناول الأدب في كل زمان ومكان المواضيع الثابتة المتعلقة بالقيم الإنسانية كالحب والخير والصداقة والإيمان والتضحية والحرية والحياة وتناقلتها الأجيال باعتبارها قيما لا تبلى. ذلك ما يجعل الفرد يولي الأدب هذه الأهمية. إذ تطرح هذه القيم بطرق فنية تختلف باختلاف الجنس الأدبي. (ص 18-25)

تلك هي أبرز خصائص النص الأدبي بكل أجناسه وهي خصائص لغوية، إبداعية، جمالية وأسلوبية تميزه عن النصوص العلمية والإخبارية المحددة في أغلبها بمضمونها ولغتها المألوفة لثبات دلالة الألفاظ لدى المتعاملين بها. حيث يُعرف أن النصوص الأدبية يغلب فيها الإيحاء (**Connotation**) والمفردات ذات الشحنة الدلالية، وتغلب عليها التعابير المجازية والاستعارات والخيال لانزياح لغتها عن المألوف بخروج الكلمات عن دلالتها اللغوية والمعجمية وتشبعها بالخيال والعاطفة لإثارة المشاعر والتأثير في نفس المتلقي. كما يُصاغ النص الأدبي وفق عملية منهجية خاصة تُنظمه تنظيماً يأخذ به صبغة فنية وشكلا جماليا لا يقل أهمية عن المضمون.